الفصل الخامس

النحل في القرآن الكريم والسنة النبوية والأدب العربي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

النحل في القرآن الكريم والسنة النبوية والأدب العربي

قال الله تعالى في كتابه العزيز مخبرا عن النحل وسلوكها وأماكن معيشتها وكذلك فوائد العسل الذي تنتجه هذه الحشرة التي سخرت وجبلت على ذلك ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)**﴾ **(النحل: ٦٨، ٦٩).**

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في **النحل** أحاديث عديدة:

١- عن أبى هريرة؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " **الذباب كلها في النار، يجعلها عذابا لأهل النار إلا النحل**".

٢- وعن أبى هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **مثل بلال كمثل النحلة غدت تأكل من الحلو والمر، ثم هو حلو كله**".

٣- عن أبى هريرة؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **من لعق من العسل ثلاث غدوات من كل شهر، لم يصبه عظيم من البلاء**".

٤- عن ابن عباس؛ قال:" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب" **النملة والنحل والهدهد والصرد**".

٥- عن ابن عباس؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم" قال: "**الذباب كله في النار إلا النحلة**".

٦- عن ابن عباس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" **الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية نار، وأنهى أمتي عن الكي**".

٧- عن عمر- رضي الله عنه- أنه قال " **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي سمع عنده دوي كدوي النحل**".

٨- عن مجاهد؛ قال: صاحبت عمر- رضي الله عنه- من مكة إلى المدينة، فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث: " **إن مثل المؤمن كمثل النحلة، إن صاحبته نفعك وإن شاورته نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع، وكذلك النحلة كل شأنها منافع**".

٩- عن ابن عمرو؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " **إنما مثل المؤمن كمثل النحلة، وقعت فأكلت طيبا، ثم سقطت ولم تُفْسِد ولم تكسر، ومثل المؤمن كمثل قطعة الذهب الأحمر إذا أدخلت النار فنفخ عليها فلم تتغير، ووزنت فلم تنقص**".

١٠- عن أبي فروة عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار: كيف تجد نعت (صفة) رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ؟ فقال كعب: " **نجده محمد بن عبد الله، يولد بمكة، ويهاجر إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفاحش ولا صخاب في الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحامدون، يحمدون الله في كل سراء وضراء، ويكبرون الله على كل نجد (منزلة)، يوضئون أطرافهم، ويأتزرون في أوساطهم، يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوي النحل، يستمع مناديهم في جو السماء**".

١١- عن ابن مسعود؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور، فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل**".

١٢- عن أبي سعيد الخدري؛ قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطلق بطنه. فقال عليه الصلاة والسلام: "**اسقه عسلا**" **فسقاه ثم جاء فقال : يا رسول الله إن أخي سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:" اسقه عسلا" ثلاث مرات، ثم جاء في الرابعة فقال له**

النبي: " صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا" فسقاه فبرأ. وقد ورد شرح لهذا الحديث الأخير في الجزء الخاص بفوائد العسل الطبية.

وفي الحديث " **عليكم بالسنا والسّنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السأم**". وقال البعض بأن السنوت هو الشبت ولكن الغالب أنه هو العسل والسأم هو الموت.

وروي عن أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:

إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه كذلك فإنه شفاء: أي من وجوه قال الله تعالى "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين" وقال "وأنزلنا من السماء ماء مباركا" وقال "فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا" وقال في العسل "فيه شفاء للناس" صدق الله العظيم.

وورد عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كذلك أنه قال في تحقيره للدنيا:
أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة، وأشرب شرابه رجيع نحلة. فظاهر هذا أنه من غير الفم. وبالجملة فإنه يخرج ولا يدري من فيها أو أسفلها، ولكن لا يتم صلاحه إلا بحمى أنفاسها.

وروي أن عوف بن مالك الأشجعي مرض فقيل له: ألا نعالجك
فقال ائتوني بالماء فإن الله تعالى يقول "ونزلنا من السماء ماء مباركا"

ثم قال: ائتوني بعسل فإن الله تعالى يقول "فيه شفاء للناس" وائتوني بزيت، فإن الله تعالى يقول "من شجرة مباركة" فجاءوه بذلك كله فخلطه جميعا ثم شربه فبرئ.

وقول زينب للنبي صلى الله عليه وسلم: جرست نحلة العرفط حين شبهت رائحته برائحة المغافير.

ولم يفوت الأدب العربي على نفسه فرصة التغزل في النحل وصفاته وقد استلهم الشعراء والكتاب من مملكة النحل مادة خصبة لشعرهم ونهلوا من معينه الكثير. فقد أنشد له الشعراء وكتب فيه الأدباء والكتاب وضربت به الأمثال وفسرت الرؤيا التي يرى فيها النحل والعسل.

وقد أدلى أمير الشعراء أحمد شوقي بدلوه في معين هذه المملكة المتفردة وأنشد قصيدة طويلة تغزل فيها بإعجابه الشديد بهمة النحل الذي استطاع أن يبني مملكة وسُحِرَ خلده بنشاط أفراده وانصياعهم لأمر الملكة وتدبيرها لشئون المملكة وقيادتهم والدفاع عنها حتى الرمق الأخير ويذكر أن في ذلك عبرة للبشر وتبصرة لكل نجيب. وأبيات هذه القصيدة:

أليس في مملكة النحل	لقوم تبصرة
ملك بناه أهله	بهمة ومجدرة
لو التمست فيه	بطان اليدين لم تره
حكم فيه قيصرة	في حكمها مدثرة
أنثى ولكن في جناحيها	لباة مخدرة
فائرة من حوضها	طاروة من كمره
تقلدت إبرتها	واورحت بالعبرة
كأنها تركية	قد رابطت بأنقرة
كأنها (جان دارك) في	كتيبة معسكرة
تاقي الغير بالجندو	الحشن المثمرة

وقال الحريري في هذا المقام:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تروه قل ذا قيء الزنابير

وأنشد المعري يقول:

والنحل يجني المر من زهر الربا فيعود شهدا في طريق رضابه

ويسأل الشيخ إبراهيم بديوي سؤالا هو بالقطع يعرف إجابته ولكنه وسيلة حتى يفيق الغفلان من غفلته ويستيقظ النائم من سباته العميق ويبصر من طمس على بصيرته فليس العمى عمى الأعين ولكنه عمى القلوب استشهادا بقوله تعالى ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦) فينشد الشيخ:

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهدا وقل للشهد من حلاكا ؟

ويقول خالد بن زهير الهندلي مؤكدا ما بلغه العسل من حلاوة بقوله:

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ألذ من السلوى إذا ما نشورها

والسلوى هي العسل وقد أطلق عليه هذا الاسم لأنه يجعل من يتذوقه ينسى طعم كل ذي حلو وهو يسلى عن كل حلو.

ويقول الشاعر العربي في العسل:

فجاءوا بمزج لم ير الناس مثله هو الضحك إلا أنه عسل النحل

والضحك هو عسل النحل.

فعجبا أي عجب لكيف يمكن أن يتحول الرحيق إلى عسل وهو لا يصنع في مصنع أو يركب في معمل بل يخرج من بطون النحل فصدق الله العظيم حين قال ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ (النحل: ٦٩). وقد أثبت

العلم الحديث ذلك فلا يعتقدن أحد أو يظنن جاهل أن النحل ما هو إلا أداة في يد الطبيعة تحركه كيفما شاءت وتوجهه أينما شاءت حتى يجمع العسل الحلو من الأزهار ولكن يقوم النحل بذلك وبتوجيه ممن يقول للشيء كن فيكون فسبحان من أمره بين الكاف والنون ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾(يس: ٨٢). ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴿ **وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا** ﴾ **(الكهف: ٥٦)** فهل نظروا وتفكروا في خلق الله والله إنهم لن يستطيعوا أن يجدوا نقصا في خلق الله وقد أكد الله ذلك بقوله ﴿ **مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ** ﴾ **(الملك: ٣)**. وربما يقول قائلهم أليست كل الحيوانات ومنها الحشرات إذا أكلت طعاما تغير في أمعائها ومن الممكن أن يكون العسل هو ناتج هضم هذه المواد في أمعاء النحل. سأتفق معهم في جزء وأختلف معهم في آخر. أما الجزء الذي وقع فيه الاتفاق بيننا أن العسل يخرج من معدة النحل والتي تسمى بمعدة العسل. أما موضع الاختلاف بيننا فهو قرينة عليهم ولنا وهي أن الكائنات إذا أكلت طعاما هضم وتحول إلى مواد بسيطة قابلة للامتصاص يستفيد منها الكائن في بناء أنسجته وفى توليد الطاقة , المواد الغير قابلة للهضم والامتصاص والتي لا يرجى منها منفعة يتم التخلص منها من فتحة الشرج كمواد برازية أو عن طريق أجهزة الإخراج مثل الكلية. أما النحل فإنه يحول الرحيق إلى عسل تستفيد منه الكائنات الأخرى.

ولنتأمل الدقة المتناهية في التعبير القرآني ﴿ **ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ **(النحل: ٦٩)** والذي هو في حد ذاته إعجاز علمي تتجلى فيه قدرة الخالق العظيم وقد أماط العلم الحديث اللثام عن جوانب هذا الإعجاز ونقارن ذلك بقوله تعالى ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا**

فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (النحل: ٦٦). والمقارنة هنا تُبْرِزُ مواطن الإعجاز وتجليها لكل ذي عقل نجيب وكل فكر رشيد وكل فؤاد رقيق. ففي آية النحل ذكر الله تعالى أن النحل يُخْرِجُ شرابا ولم يقل ربنا عسلا. والعسل يختلف عن الشراب ويجب أن نفرق بينهما لنبرز الإعجاز ونؤدي دورنا ونبرئ ذمتنا من التقصير عن أداء دورنا في إعلاء كلمة الله وحتى لا يُأتَى الإسلام من ثغرنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**كل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام، فليحذر أن يؤتى الاسلام من قِبَلِه**".

فكلمة بطونها يقصد بها التأنيث والذي أثبته العلم الحديث أن الشغالات الإناث هي المسئولة عن إنتاج العسل وكما عرضنا أن وظيفة الملكة وضع البيض ووظيفة الذكور هي تلقيح الملكة العذراء ولمرة واحدة فقط طوال حياتها الحافلة. وكلمة يخرج من بطونها فالأصل أن هذا الشراب يخرج من بطن النحلة ولكنه لا يصير عسلا فعلا إلا بعد أن يوضع في العيون السداسية وينضج بفعل تبخير الماء الزائد منه وبحمى أنفاس النحل أي أن ما يخرج من بطون النحل ليس العسل الذي نعرفه ونتناوله بل هو الشراب الذي يكون عسلا بعد ذلك. أما اللبن فإنه يخرج من الأنعام في صورته النهائية التي يمكن أن نتناوله بعدها مباشرة.

وإذا تأملنا عجيب صنع الله في حشرة النحل لوجدنا أن بطن النحلة معين لا ينضب من الأسرار ومستودع من الإعجازات الربانية، فقد يتبادر إلى الذهن أن ما يخرج من بطن النحل هو العسل، وهذا القول حق بلا ريب، ولكن من قدرة الله سبحانه وتعالى أنها تخرج مواد أخرى فيها الشفاء والغذاء. وهذه المواد:

أ- الغذاء الملكي وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أهمية هذه المادة الطبية والغذائية.

ب- شمع النحل: ويفرز الشمع من غدد الشمع المتواجدة في البطن.

جـ- سم النحل الذي تفرزه غدد آلة اللسع في نهاية البطن.

د- البروبوليس أو ما يعرف بالعلك وهو المادة التي يجبيها النحل من براعم أو جذور بعض النباتات ويجهزه في معدة العسل في البطن.

وقد أفردنا أهمية كل مادة من هذه المواد على حدة في الجزء الخاص باستخداماتها. ولكن المثير هنا أن ظاهر كل هذه المواد تخرج من البطن وهو ما يجلي نقاط الإعجاز الرباني في خلق النحل.

هذا، ولم تفت الفرصة على النثر أن يدلي بدلوه في معين عالم النحل فقد كتب القزويني في كتابه عجائب المخلوقات:

يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة، إذ فيه أوحى الله إلى النحل صنعة العسل، فبين الله أن في النحل أعظم اعتبار.

وقد قال أحد الحكماء لتلاميذه: *كونوا كالنحل في الخلايا.*
قال تلاميذه: *وكيف النحل في الخلايا.*
قال الحكيم لهم: *إنها لا تترك عندها بطالا إلا نفته وأبعدته وأقصته عن الخلية، لأنه يضيق المكان، ويفنى العسل ويعلم النشيط الكسل. ولا ينفك النحل يعمل حتى آخر نفس فيه.*

ويكرم الإسلام هؤلاء الذين يعملون بهمة ونشاط ويتقنون عملهم مهما كانت نوعية هذا العمل طالما أنه لا يغضب الله ولا يغضب رسوله ولا يتنافى

مع القيم والمبادئ الإسلامية السمحة. ويحضرني في هذا المقام موقف نبي البشرية وخاتم الأنبياء والمرسلين وسيد بني آدم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما صافح رجل فوجده خشن اليد من العمل فقال له هذه يد يحبها الله ورسوله. وفي ذلك تقدير للعمل الجاد-الذي يعود بالنفع والخير على صاحبه ويفيد مجتمعه.

وقد حثنا الإسلام على العمل وعدم الكسل أو التواكل فقد أتى رجل يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يذهب ويحتطب ويعود إليه مرة أخرى بعد فترة زمنية معينة وعاد الرجل وقد تغيرت هيئته وبدت عليه آثار النعمة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فيما معناه أن هذا أفضل له حيث يأتي من يسأل الناس يوم القيامة وفي وجهه نكتة أي علامة.

هذا، وقد ورد عن الإمام الشافعي حوارا يرد فيه على الزنادقة، عندما سألوه عن الأدلة على وجود الصانع فقال لهم:

ورقة الفرصاد (التوت) طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم ؟

قالوا: نعم

قال الإمام الشافعي: *فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم (الحرير) والنحلة فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعر، وتأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الجميع واحد ؟*

فاستحسنوا منه هذه الأدلة الدامغة والبيان السديد واقتنعوا بها وأسلموا على يديه.

ويعلق الدكتور عبد الحكم الصعيدي على جزئية أن النحل يأكل ورق التوت فتخرج العسل بأنه مغاير للطبيعة حيث أن النحل يجمع الرحيق وحبوب اللقاح منتجا عسلا، ويمكن تلمس المعذرة للإمام الشافعي في قوله هذا حيث تبع ما كان سائدا من المعرفة عن الحشرات في عهده.

مهام أفراد النحل

يجدر ذكر أنه في خلية النحل يكون دور الملكة محصورا في وضع البيض بينما تنوط الشغالات بجميع المهام الأخرى. وفي منتصف الصيف تقضي الشغالة الأسبوعين إلى ثلاثة أسابيع الأولى من عمرها في العمل داخل الخلية وتقضي الباقي منه في تجميع الغذاء. وقد وجد أن الأفراد لا تتخصص في مهام معينة، ولكن كل منها يقوم بمهام اختيارية مختلفة بزيادة العمر. وعامة يقوم النحل مع التقدم في عمره بأربعة وظائف متداخلة هي:

١- تنظيف الخلية.

٢- إطعام اليرقات وتنظيف الأمشاط.

٣- بناء الأمشاط، واستقبال الرحيق، وتخزين حبوب اللقاح، والتخلص من القاذورات والحراسة.

٤- جمع الغذاء.

وترتبط الأجهزة الغدية للنحلة بإنتاجها غذاء الحضنة والشمع حيث تختلف مع التغير التفضيلي لمهام مختلفة داخل الخلية. وقد يبدو النحل كسولا لعدة ساعات في وقت ما ولكن تلك النحلات الكسولة هي في واقع الأمر في مرحلة إفراز شمع أو غذاء الحضنة. ومع ذلك هناك اختلافات كبيرة في العمر الذي يقوم عنده النحل بتحمل عبئ مسئوليات معينة فمثلا إذا قامت نحلة بجمع الغذاء مبكرا في حياتها فإنها لا تقوم ببعض الأعمال في الخلية.

وبالرجوع مرة أخرى إلى مهام أفراد النحل نجد العجب العجاب الذي يسلب الألباب ويجعل الحكيم حيرانا حيث لا يمكن أن يكون ذلك من فعل الطبيعة ولكن قدرة خالق عظيم لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو

اللطيف الخبير. فالنحل من أنظف الحشرات وأنشطها وأكثرها نفعا ليس للإنسان فحسب بل وللنبات أيضا. ففي أولى المهام المنوطة بها النحلة هي التنظيف فنجد أن النحلة ذات العمر الحديث أي بعد خروجها من أعين التربية السداسية تنظف نفسها أولا وعندما يكون عمرها عدة ساعات تبدأ في تنظيف الأعين المحتوية على الحضنة فيما عدا الحواف العلوية المسننة أو المتعرجة والتي يقوم نحل أكبر بتنظيفها (٤- ٢٠ يوم) وكذلك يقوم النحل بالطيران خارج الخلية حاملا القاذورات مثل قمم الأعين المتهتكة، والحضنة الميتة وحبوب اللقاح المتعفنة بأفراد في مرحلة تسبق مرحلة جمع الغذاء.

وسبحان العلى القدير فإننا نجد أن النحل يحب أن يعيش نظيفا في نفسه وفي مكانه فهو في أي مرحلة سنية يقوم من وقت لآخر بتنظيف بعضه بعضا وكذلك بتنظيف الذكور. ويتميز النحل بدرجة عالية من الشعور والإحساس المرهف الذي قلما يتواجد عند البشر، فالنحلة المنتظرة أن تنظف تقوم برقصة دعوة العرس grooming invitation dance ترفع خلالها أرجلها وتهز جسدها من جانب إلى جانب آخر وعادة ينتج عن ذلك قيام نحلة قريبة منها بتنظيفها وخاصة في مناطق قواعد الجناح ومناطق اتصال الصدر والبطن حيث لا تستطيع النحلة تنظيف هذه المناطق بنفسها. وعن وظيفة تغذية الحضنة، نجد العديد من الغدد مثل الغدة تحت البلعومية والغدة اللحيية وغيرهما مثل خلف المخية وكذلك الصدرية تلعب دورا في هذا. وتكون الغدة الأولى كاملة النمو في الشغالة ذات العمر ثلاثة أيام وتبقى حتى الأسبوعين التاليين أو أكثر من ذلك. ومن شدة رعاية النحل الناضج لليرقات وهو ما نفتقده في أمهات وآباء هذه الأيام هو تفحص اليرقة من ألف إلى ألفين مرة وحوالي عُشْر هذه الزيارات تكون لوضع الغذاء على قاع أو جدار العين قريب من فم اليرقة.

وحَرِيٌّ بالذكر أن غدد غذاء الحضنة لا يمكنها إمداد الغذاء باستمرار والنحلة تقضى وقت قليل جدا في إطعام اليرقات أي أنها تكون مشغولة بأشياء أخرى غير مهمة التغذية والكثير من الناس يسمعون أو يقرؤون عن شمع النحل بل إن بعض تجار العسل يعمدون إلى وضع جزء منه وعدة نحلات في أوعية بيع العسل دليلا على عدم الغش حيث العسل المغشوش يحتوي على كمية متغيرة من الماء والسكر مما يؤدي إلى تحلل النحل المتواجد به كما يحب بعض الناس شراء الأقراص الشمعية بما تحويه من العسل ويشتهون مضغ هذا الشمع.

ويجيش في صدري سؤالا لماذا لا تعف الناس وتعرض عن العسل الموجود به نحل، أوَ ليس النحل بحشرة وما ينطبق على الحشرات ينطبق عليها ؟ وأعود إلى رشدي وأتذكر أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى هذه الحشرة أن تأكل من الثمرات وعندئذ أُدرِكُ أن الثمرات غذاء نظيف ليس فيه شبهة قذارة أو أدنى دليل على وجود نجاسة. فهي تحيا وتقتات على منتج تبتهج النفس لرأياه وتنتشي من فواح عبيره وهي الأزهار والثمار ولا أحسب أن أحدنا يوما قد عاف وردة أو اشمئز من عبيرها.

وينتج النحل الشمع أصلا لاستخدامه في بناء أمشاط جديدة أو إصلاح أمشاط قديمة كما يغلق بها العيون المحتوية على العذارى أو العسل الناضج. وينتج الشمع على شكل حراشف رقيقة من أربعة أزواج من الغدد والتي تفتح على السطح السفلى للبطن وتُنْقَلُ هذه الحراشف الشمعية بالأرجل الخلفية إلى أحد أجزاء الفم والمسمى باللحيي mandibles والأرجل الأمامية حتى يتم معالجتها وإضافتها إلى المشط. وهنا يظهر أهمية التفتيش والتدقيق على كل مراحل البناء كأمهر المهندسين والبناءين حيث تقوم نحلة بإزالة الشمع المضاف حديثا عن طريق نحلة أخرى ووضعه في مكان آخر طالما لم يكن مضبوطا

وكذلك لا تبتعد النحلة عن العين التي تقوم ببنائها وإلا لن تجدها مرة أخرى. ويظهر هنا روح الفريق الذي يخلو من المباغضات والمشاحنات والمكائد التي قد تودي بحياة أمة كانت آمنة مطمئنة فعند بناء مشط جديد يتحد ويتعاون مئات الأفراد على البر والتقوى حتى يكون العمل كله بركة وحتى لا يفشلوا وتذهب ريحهم وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ (**المائدة: ٢**). وحتى نكون صادقين مع أنفسنا ومع الغير فلا يمكن أن نجزم بأن جميع أفراد الخلية يتبعون هذا السلوك بنسبة مائة بالمائة فقد تشذ شرذمة قليلون عن هذا.

والنحل من الحشرات التي تكافح وتضرب في الأرض يمنة ويسرة وتسبر أغوار الطبيعة من أجل الحصول على قوتها وعندما تجده حتى وإن كان وفيرا فإنها لا تعمد إلى التبذير والإسراف وتتخلص منه أو تتكاسل في جمعه بعلة أن الغذاء موجود بكثرة ولكنها قد تختزنه في صورة أخرى فمثلا تستقبل النحلات الموجودة في الخلية الرحيق الذي يأتي به النحل الجامع للغذاء و تضع حبوب اللقاح برفق ورقة في العيون. وقد تكون ظروف التغذية جيدة والغذاء المجمع وفير وقد امتلأت أمشاط التخزين، فعندها نجد أن جامعات الرحيق قد يصعب عليها أحيانا التخلص من حمولتها ويكون النحل المستقبل في منتهى الانشغال فيجبر النحل على تخزين كميات الرحيق في أمعاء العسل ويتم تحويلها تلقائيا إلى شمع والذي يستخدم في بناء أمشاط إضافية لتخزين الرحيق.

ودعنا نضرب مثالا على هذا السلوك وأستميحكم عذرا فقد سمحت لنفسي أن أطلق على التصرف من النحل بالسلوك النحلي حيث أنني أميل إلى استخدام الالفاظ والتعبيرات التي تتسم بالطابع العلمي أكثر ربما لطبيعة عملي في هذا المجال. لو كان النحل يميل إلى التبذير والكسل لتوقعنا منه كما يتصور

عقلي البسيط أن ينتج كميات أقل من العسل عند وفرة مصادر الغذاء حيث يتغذى عليها مباشرة ولا يكبد نفسه مشقة أو يتجشم عناء تكوين العسل وتخزينه. ولكن الواقع غير ذلك فعند وفرة الرحيق أو حتى توافر مصدر غذاء طبيعي ينتج النحل العسل بكميات أكبر ولهذا ينزع بعض مربو النحل إلى الإغداق عليه بالمحاليل السكرية لزيادة المحصول الذي يجنونه منه وكلما امتلأت الأمشاط يصنع هو أمشاطا جديدة أو يضيف المربي له أمشاط أخرى جديدة أليس ذلك أبلغ دليل وأقصر طريق لتوكيد حرص النحل على قوته وعدم تبذيره وترشيده لاستهلاكه.

ويجب على ابن آدم أن يقتدي بهذه الحشرة قويمة السلوك قليلة المطالب والاحتياجات فهي تأكل بغير إسراف وتقتصد ليوم الجفاف ولا تتبتر على نعمتها وتتعلل بقلة حيلتها فقد قال تعالى في كتابه الكريم محذرا الخلق من الإسراف ﴿ وكُلُواْ واشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١).

وقد جاء في تفسير هذه الآية للقرطبى ما يلى:

قوله تعالى: "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة. فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوع وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلاً وشرعاً، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس.

وقيل: في قلة الأكل منافع كثيرة، منها أن يكون الرجل أصح جسماً وأجود حفظاً وأزكى فهما وأقل نوماً وأخف نفساً. وفي كثرة الأكل كظ المعدة ونتن التخمة، ويتولد منه الأسراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل الأكل.

وقال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بياناً شافياً يغني عن كلام الأطباء فقال: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه". خرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب.

ويذكر أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان.

فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا.

فقال له: وما هي ؟ قال قوله عز وجل: "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا".

فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب.

فقال علي: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة.

قال: ما هي ؟

قال: "المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسد ما عودته".

فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصل كل دواء الحمية". والمعني بها -والله أعلم- أنها تغني عن كل دواء، ولذلك يقال: إن الهند جل معالجتهم الحمية، يمتنع المريض عن الأكل والشرب والكلام عدة أيام فيبرأ ويصح.

وروى مسلم عن ابن عمر قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معىً واحد". وهذا منه صلى الله عليه وسلم حض على التقليل من الدنيا والزهد فيها والقناعة بالبلغة. وقد كانت العرب تمتدح بقلة الأكل وتذم بكثرته.